الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الكلية :الآداب واللغات

القسم: اللغة والآداب العربي

عنوان الليسانس: الأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية **التخصص: أدب عربي**

السنة الثالثة

السداسي :الخامس

المادة :جماليات السرد العربي القديم

محاضرات في مقياس:

جماليات السرد العربي القديم

الأستاذة: دربالي وهيبة.

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

عنوان المحاضرة الرابعة: القصة على لسان الحيوان

أولًا– القصة في التراث العربي :

اشتمل التراث العربي على العديد من القصص والحكايات، وفي البداية نتعرف على مفهوم القصة قبل التطرق للحديث عن بداياتها وتطورها .

1–مفهوم القصة:

مماهو معلوم أن مصطلح القصة أصله غربي حديث، ونجد له جذور في تراثنا العربي.

أ–مفهوم القصة في اللغة:

ورد في المعاجم اللغوية أن مفهوم القصة مأخوذ من مادة « قَصَّ أثره قَصًّا: تتبَّعه؛ ويُقال قصَّصْتُ الشيء إذَا اتبَعت أثَرَه والقصُّ الأثر،والقصُّ ماقُصَّ من صُّوف ونحوه،والقصة جمع قصص،وهي الحكاية والقصة :رواية الخبر،والقص على خبر يقصه».

ومنه فمفهوم القصة هو الحكاية أو رواية الخبر ؛ أي سرد أحداثه،وجاء في لسان العرب لابن منظور «القصة: الخبر وهو القصص، وقص عليّ خبره يقصه قصًا وقصصًا ».

إن مفهوم القص في اللغة هو رواية الخبر، والقصة هي الحكاية، ومنه فالقصة في اللغة تعني رواية حكاية أو خبر وقد تكون رواية الخبر شفهية أو مكتوبة .

ب–مفهوم القصة في الاصطلاح :

إنَّ القصة هي سرد واقعي أو خيالي لأفعال قد تكون نثرًا أو شعرًا يقصد بها إثارة اهتمام المتلقي،وتروي القصة حدثًا عجيبًا يُقدم على أنه حقيقي».

إن القصة هي سرد لأحداث حقيقية أو خيالية تقدم على وجه الحقيقة،والقصة من الفنون النثرية ،والغاية منها شد اهتمام المتلقي «والقصة هي مساق سردي من الحوادث يَتعلق بشخصية أو شخصيات تبحث عن حل للمشكلة، أو تسعى للوصول إلى غاية، وهي تتوسط بين القصة القصيرة والرواية».

تعد القصة متوسطة الحجم بالمقارنة بين القصة القصيرة والرواية، وهي عبارة عن أحداث مرتبطة بشخصية ماتحاول حل مشكلة، ومن مرادفات مصطلح القصة عند العرب: الخبر أو الحكاية أو الأحدوثة .

2– تطور القصة في الأدب العربي القديم:

عرف العرب القصة منذ العصر الجاهلي ، وكان جزءًا من كلامهم وأحاديثهم قص الأحداث« وكان للقصاص مجالس خاصة،وقد اهتم المؤلفون بالقصص فضمنوا كتبهم كثيرًا منها (في الشعر عند امرئ القيس..الخ)وتحدث القدماء عن القصة في "باب الاقتصاص"،وعرف الأدب العربي نوعًا من القصص كان معظمه شعبيًا كقصص ألف ليلة وليلة ، وقصة الظاهر بيبرس..الخ».

رجعت بدايات القصص العربي إلى العصر الجاهلي،ووردت القصة في القرآن الكريم،وتطور التأليف في القصص العربي، فظهرت أعمال قصصية مكتملة ذات طابع شعبي كألف ليلة وليلة، وظهرت أشكال عديدة للقصة في العصر العباسي ، ومن أبرزها القصة على لسان الحيوان، وهي فن سردي دخيل على الثقافة العربية .

ثانيًا – القصة على لسان الحيوان في الأدب العربي القديم :

تعد القصة على لسان الحيوان لون قصصي دخيل على الأدب العربي القديم ، وارتبط بالآداب الهندية والفارسية.

1- نشأة القصة على لسان الحيوان :

عرف العرب الحكاية على لسان الحيوان من خلال المثل الشعبي ، ولذلك اتخذت الحكاية عندهم شكل المثل ،واقتحمت المرويات الخرافية قصور الخلفاء ، ووجدت الأوصاف العامية تمثيلًا خصبًا لخيالاتها ».

اشتهر لون القصة على لسان الحيوان في قصور الخلفاء، وفي وسط عامة الناس، وبقيام ابن المقفع بترجمة كتاب كليلة ودمنة من الفهلوية (اللغة الفارسية القديمة) إلى اللغة العربية عرف العرب الجنس الفني للحكاية على لسان الحيوان في صورة مكتملة له قواعد فنية خاصة، واتفق كل من أحمد أمين والعقاد وتوفيق الحكيم على أن العرب لم يعرفوا القصة إلا في عصور متأخرة كالعصر العباسي».

ظهرت القصة العربية بمفهومها الفني في العصر العباسي متأثرة بقصص الهند والفرس وغيرهما، وتعد قصص كليلة ودمنة عملًا فنيًا مكتملًا استندت على تقنيات في سرد أحداثها ،وفي سياق متصل بذل ابن المقفع جهدًا في ترجمة قصص كليلة ودمنة، واختيار أحسن نسخة منها ، وأصبغها بطابع عربي إسلامي «ويُصنف كتاب"كليلة ودمنة " ضمن القصة على لسان الحيوان، والقصص الحيواني حكايات رمزية قصيرة تتضمن الأقوال والأفعال المعزوة إلى الحيوانات والقصد منها تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك ، وإذاعة الآداب الراقية بأسلوب مؤثر ،وهذه القصص غالبًا ماترتبط بالأساطير التي تعتمد على تفسير الظواهر الطبيعية وتعليلها ».

شمل كتاب"كليلة ودمنة "على قصص تروى بلسان الحيوانات ، وهو أسلوب رمزي يجنح إلى الخرافة في بعض الأحيان وغايته إفادة المتلقين أكثر من إمتاعهم .

2- مصادر كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع :

وجد النقاد مصادر عديدة لكتاب"كليلة ودمنة" ، ومنها الهندية والفارسية فقد «ترجم ابن المقفع كليلة ودمنة ،ويقال أنها نُقلت في عهد كسرى أنو شروان من الهندية إلى الفهلوية ،وقد عثر الباحثون على بعض أصولها الهندية من مثل "بنج تانترا "ومثل "هتوبادشا" ،ووجدوا منها بعض أصول في المهابهارتا"ممايؤكد أنها هندية الأصول ، ورجح كثير من الباحثين أن ابن المقفع زاد في الكتاب بعض الفصول والقصص».

إن النسخة الأصلية من كتاب كليلة ودمنة هي هندية ثم بعد ذلك حصل ترجمتها إلى اللغة الفهلوية إحدى اللغات الفارسية القديمة ،وزاد عليه الفرس من قصصهم ،ثم تُرجمت إلى اللغة العربية ،وأضاف ابن المقفع قصصًا عربية في النسخة العربية لكتاب كليلة ودمنة «وقد تقصى د. شمس الدين منابع الكتاب الهندية والفارسية والتوراتية والسريانية والمسيحية والعربية والإسلامية،وحاول رصد التطورات،التي أصابت الكتاب خلال مسيرته التاريخية،وعلى سبيل المثال أشار د.شمس الدين إلى أن باب حرب "**البوم والغربان**"مستمدة من قصة "**جديمةوزباء**"،وهي ذات جذور يونانية عادت إلى أسطورة حصان طروادة،وأشار د. عبد اللطيف حمزة إلى تأثير الخيال الإسلامي في قصة **زباء** من باب **البوم والغربان**" وهي قصة أوردها ابن قتيبة في كتابه "عيون الأخبار ،ونقلها عن أصالة الكتاب العربية، وفي هذا الكتاب يرى د.محمد رجب أن الأبواب الأولى غير واردة في الأصل الهندي،وأن الحكاية الإطارية دبشليم وبيدبا تخص الكتاب العربي فقط». على الرغم من التشابه بين النصين العربي والهندي في قصص كليلة ودمنة، ومع ذلك هناك تفاوت في طريقة عرض

الأحداث، ومع تعدد مصادر نص كليلة ودمنة إلى أن روح الثقافة العربية الإسلامية هي الغالبة عليه ،حيث جرى تهذيب قصص كليلة ودمنة من طرف ابن المقفع .

3-أسلوب ابن المقفع في سرد قصص كليلة ودمنة :

توفر لابن المقفع أسلوب قصصي مميز بإثارته السردية، وكتابه كليلة ودمنة ماهو إلا ستار اختفى وراءه ليعرض به آرائه، ومثَّل القسم الأول من كتابه الكتب الهندية،والقسم الثاني الكتب الفارسية (الإيرانية) وأضاف القسم الثالث العربي عند ترجمته إلى اللغة العربية».

ظهر أسلوب ابن المقفع من خلال جمعه وترتيبه،وإعادة صياغته لقصص كليلة ودمنة ذات الأصل الهندي وأضاف قسمًا عربيًا لكتاب كليلة ودمنة «وجرى الرمز فيه طرفة على لسان الحيوان ،وتتمتع حكايات كليلة ودمنة بتعدد المضمون ويمكن للحكاية أن تتكرر في مضمونها،وتتسلل أحداثها مع الاختلاف في تغيير شخصيات ،وتستعمل الحيوانات الحيلة لقضاء مآربها،وكذلك الحكماء يصوغون الحيلة من أجل القيام بدورهم التعليمي».

لاحظ النقاد تعدد مضامين قصص كليلة ودمنة، وهذا راجع لكونها من نسخ الخيال (مثل حكاية الصياد وزوجي البلبل) ومثلما نجد الحيل عند الحيوانات لقضاء مآربهم ،وصاغ العلماء الحيل لإصلاح الناس وتهذيب سلوكهم».

حمل كتاب كليلة ودمنة غايات عديدة جمالية وفنية في نسخته العربية ، وكما أننا نجد للكتاب العربي من كليلة ودمنة « أغراض تربوية وعقيلة وجمالية موجهة إلى الشعب،وأما الهندي فله غرض تربوي أو تعليم واحد موجه إلى الصفوة،وأن الحكايات الفرعية مختلفة حذفًا وإضافة أو تقديمًا وتأخيرًا،وكان ابن المقفع يؤول،ويعيد تفسير بعض الحكايات في النص الهندي،ولاحظ النقاد نجاح النص الهندي في الارتقاء بفن القصة على لسان الحيوان من الشفوية إلى الأدب الكتابي،وابن المقفع وإن لم يكن مجددًا في مادته؛ إلَّا أنَّه كان جديدًا في أسلوبه،وتوظيفه المثل في قالب قصصي له أهداف عظيمة ، وأحدث تطورًا في استخدام المثل».

لقد وُفق ابن المقفع في الانتقال بالسردية العربية القديمة من الصياغة الشفهية للحكايات إلى كتابتها وتدوينها،وهذا انعكس إيجابًا على التأليف في مجال السرد العربي القديم،وقد وضح ابن المقفع غرضه من ترجمة وتأليف كليلة ودمنة في قوله:«إني مظهر للناس هذا الغرض،إن شاء الله لابد من التصريح بالإصلاح بعد التلميح،لقد آن أن توضع الأمور في نصابها ».

ومنه فقد تعددت أغراض كتاب كليلة ودمنة فمنها الأخلاقية والأدبية والجمالية، ولابن المقفع دور في صياغته القصصية بأسلوبه الخاص ،وحافظ على الصياغة الفنية لها«وأشاع كتاب **كليلة ودمنة** مناخًا خرافيًا،وشجع الأدباء على الاشتغال في هذا النوع السردي الخرافي، والكتاب أثرى الفن القصصي الرسمي بلغته الأدبية الراقية، وبحكمه العميقة وابتعد عن طريقة القص الشعبي ».

لاقت النسخة العربية من كتاب **كليلة ودمنة** رواجًا كبيرًا ، وأصبحت الأصل الذي استند عليه الأدباء ،وكان توظيف المثل في القصص هو ميزة السردية العربية القديمة، ونسوق مثال ماجاء في باب البوم والغربان قال الملك للفيلسوف:«قد فهمت ماذكرت من أمر الإخاء ومنفعته ،وعظيم الفائدة فيه، فاضرب لي مثل المغترِّ بالعدو المُبدي التضرُّع».

إنّ ماميّز أسلوب ابن المقفع هو تأليفه بلغة سردية راقية ابتعدت عن الشفاهية،وباعتماد أسلوب القص الشعبي المعروف عند العرب«ويميل ابن المقفع إلى استعمال الألفاظ الفصيحة إلى اختيار ماعذُب منها،ثم يسوق ذلك في تراكيب تميل إلى الطول ...وأسلوبه فوق ذلك في كليلة ودمنة خاصة قصصي تحليلي ».

توجه ابن المقفع إلى نمط السرد التحليلي في إطار لغة قصصية فصيحة، وحاول ابن المقفع بلورة جو القصص ليتكيف مع روح الثقافة العربية«ويعد كتاب كليلة ودمنة أقدم كتاب خيالي أدبي في لغة العرب،هندي الأصل ،نقله الفرس إلى لغتهم وزادوا عليه باب عرض الكتاب،وباب الفحص عن أمر دمنة،وباب الناسك والضيف،وباب البطة ومالك الحزين».

قامت شهرة أدب ابن المقفع على كتاب كليلة ودمنة، فقد شكل فاتحة التأليف في مجال القصص العربي على لسان الحيوان، وتطور التأليف في هذا المجال ، وأصبح لونًا نثريًا أصيلًا في الأدب العربي .

4-أنماط تلقي كتاب كليلة ودمنة :

اختلفت أنواع تلقي كتاب كليلة ودمنة من طرف القراء، وذلك رجع لغاية ابن المقفع من تأليفه ،فيقول في مقدمة كتابه: «جمع هذا الكتابة لهوًا وحكمةً، فاجتباه الحكماء لحكمته ، والسخفاء للهوهم؛وأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم، فنشطوا لعلمه،وخَفَّ عليهم حِفظُه».

جمع ابن المقفع في أسلوبه القصصي بين الإقناع والإمتاع،ويمكن استخلاص ثلاث صُوَّر لقارئ الكتاب «فهناك القارئ السخيف،الذي يتوقف عند الهزل واللهو،وهناك القارئ الفطن (الذكاء مع الحيلة)الذي يتجاوز مرحلة السرد،ويهتدي إلى الحكمة؛ولكنه يتوقف عند هذا الحد،والقارئ العاقل ،الذي يستوعب الحكمة ويُخضع سلوكه لأوامرها ونواهيها».

ومنه في الأخير نؤكد على براعة ابن المقفع في صياغته السردية لقصصه على لسان الحيوان ،ونتفق مع رأي الناقد أحمد أمين في أن «كتاب كليلة ودمنة اجتمعت فيه حكمة الهند ، وسياسة الفرس، وبلاغة العرب».

وهو ماذهب إليه ابن المقفع في تبرير ترجمته لقصص كليلة ودمنة،ففي كتاب كليلة ودمنة برزت« حكمة الهند، وجهد الفرس، ولغة العرب ».

نلاحظ تداخل ثقافات مختلفة في كتاب كليلة ودمنة ،وهي الهندية والفارسية والعربية ،لذلك نجح الكتاب في التأثير في القراء على مر العصور والأزمان«وفي هذا الكتاب يتعلم الأمراء كيف يحكمون الرعايا،وكيف يتقي بعضهم بعضًا وكيف يتعايش الناس فيما بينهم».

جمع كتاب كليلة ودمنة قصصًا ذات بعد إنساني ،يستفيد منه أي شخص يقرأه ،ولابن المقفع الفضل- من خلال كتابه كليلة ودمنة – في تطور فن القصة العربية عمومًا ، ولاسيما القصة على لسان الحيوان،التي تعد فتحًا جديدًا في السردية العربية القديمة ، وكان ابن المقفع جادًا من وراء ترجمته لقصص كليلة ودمنة ،ووضع هدفه الأسمى هو إصلاح المجتمع ومنه كان للقصة العربية أنواع وأشكال منها الأصيل كالقصة الشعرية والقصة الاجتماعية،ومنها الدخيل كالقصة على لسان الحيوان.